سِلْسِلَةُ
النَّصيحةِ الذَّهبيّةِ للعَوْدةِ إلى السَّلفيّةِ

٢٦

رَفْعُ الإِلْتِبَاس

عَنْ

خَطَرِ رَفْعِ العِلْمَ عَنِ النَّاسِ وقِلَّتِهِ بِطَرِيقَةِ الاخْتِلاَسِ مِنْ إبْلِيسَ الخَنَّاسِ

دراسةٌ أثريَّةٌ منهجيَّةٌ علميَّةٌ في خطرِ رفعِ، وقلَّةِ العلمِ في الناسِ، وثبوتِ الجهلِ فيهمْ؛ بسببِ ما عندهمْ منَ الذنوبِ والخطايا، وإعراضهمْ عنِ العلمِ والعلماءِ، وذلكَ هلاكُهمْ في الدُّنيا والآخرةِ.

تأليفُ

فضيلةِ الشيخِ العلامةِ

فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري

حفظه الله، ونفع به، وأطال عمره

مكتبة أهل الحديث

رَفْعُ الإلْتِبَاس

عَنْ

خَطَرِ رَفْعِ العِلْمَ عَنِ النَّـاسِ

وقِلَّتِهِ بِطَرِيقَةِ الاخْتِلاَس

مِنْ إبْلِيسَ الخَنَّـاس

حُقوقُ الطبع مَحفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦

مكتبة
أهل الحديث

مملكة البحرين - المحرق

هاتف: ١٧٣٤٤٦١٦
فاكس: ١٧٣٤١٦٧٦

سلسلة
النصيحة الذهبية للعودة إلى السلفية
٢٦

رَفْعُ الإلْتِبَاس
عَنْ
خَطَرِ رَفْعِ العِلْمَ عَنِ النَّاسِ وقِلَّتِهِ بِطَرِيقَةِ الاخْتِلاَس
مِنْ إبْلِيسَ الخَنَّاس

دراسةٌ أثريَّةٌ منهجيَّةٌ علميَّةٌ في خطر رفع، وقلَّة العلم في الناس، وثبوت الجهل فيهم؛ بسبب ما عندهم من الذنوب والخطايا، وإعراضهم عن العلم والعلماء، وذلك هلاكهم في الدُّنيا والآخرة.

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري
حفظه الله، ونفع به، وأطال عمره

مكتبة أهل الحديث

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نَسْألهُ التَّوفِيقَ لرُشْدِهِ ونَرغَبُ إليْهِ في المزيدِ منْ فَضْلِهِ

المُقدِّمة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ، والصَّلاَةُ والسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرفِ الأَنْبيَاءِ والْمُرْسلِينَ نَبيّنا محمداً، وعَلَىٰ آلهِ وصَحْبهِ أَجْمعِينَ.

أَمَّا بعدُ،

فَهذَا جُزْءٌ لَطِيفٌ في تَخْريجِ حَدِيثِ: «**هَذَا أَوانُ يُرْفَعُ العِلْمُ مِنْ قُلُوبِ النَّاس**»؛ مِمَّا يَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلمِ الحَذَرُ مِنْهُ؛ أَي: رَفْعُ العِلْمُ مِنْ قَلْبِهِ، أو قِلَّتِهِ فيهِ، وَهُوَ لاَ يُشْعِرُ، فإنَّ ذَلِكَ هُوَ آفّةُ العِلْمِ والعَملِ، بَلْ هُوَ الضَّلالُ الْمُبين الّذِي هَلَكَ بسَببهِ الجُهّالُ قَدِيمًا وحَدِيثًا[1]: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤].

(١) وانظر: «العِلْم» لشَيْخِنا ابنِ عُثيمِينَ (ص٢٠).

قلتُ: لذَلِكَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يطلُبَ العِلْم عَلَىٰ الجَادَّةِ؛ ليرفَعَ الجَهْلَ عَنْ نَفْسِهِ، لأنَّ الأَصْلَ في الْمَرْءِ الجَهْل.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

قَالَ شَيْخُنا العَلاّمة محمد بنُ صَالحٍ العُثَيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ في «العِلْم» (ص٢٦): (أنْ يَنويَ بطَلَبِ العِلْم رَفعُ الجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ، وعَنْ غَيْرِهِ؛ لأنَّ الأَصْلَ في الإنْسَانِ الجَهْل). اهـ

وقالَ الشَّيْخُ بَكْر أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ في «حِلْيةِ طَالبِ العِلْم» (ص٣٢٥): (فَكُنْ طَالِبَ عِلْمٍ عَلَىٰ الجَادَّةِ؛ تَقْفُو الأَثَر، وتَتَّبعُ السُّنَنَ، تَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرةٍ، عَارِفًا لأَهْلِ الفَضْلِ فَضْلَهُم وسَابِقَتَهُمْ). اهـ

قلتُ: إذاً فلاَ يَسْتوِي الَّذي يَعْلمُ، والّذي لاَ يَعْلمُ، كَمَا لاَ يَسْتوِي الحَيُّ والْمَيِّتُ، ولاَ يَسْتوِي الأَعْمَىٰ والبَصِيرُ، ولاَ تَسْتوِي الظُّلماتُ والنُّورُ؛ العلمُ نُورٌ يَهْتدِي بِهِ الْمَرْءُ ويخرجُ بِهِ مِنَ الظُّلماتِ إلىٰ النُّور، فالجَهْلُ ظُلماتٌ، والعلمُ نورٌ[1].

---

(١) وانظر: «العِلْم» لشَيْخِنا ابنِ عُثيمِينَ (ص١٤ و٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ و١٦].

وعَنِ الإمَامِ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (الْعِلْمُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ حَيْثُ يَشَاءُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (العِلْمُ نُورٌ يَهْدِي اللهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ). وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّمَا العِلْمُ نُورٌ يَجْعلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي القَلْبِ)[1].

---

(١) **أثرٌ صحيحٌ.**

=

قلتُ: فَمَن أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْراً أَعْطاهُ مِنْ ذَلِكَ النُّور.

والعِلْمُ الّذِي فَرَضَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يتبَعَ، فإنَّمَا هُوَ الكِتَابُ والسُّنَّةُ، وَمَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابةِ ﷺ، ومَنْ تَبِعَهُم مِنَ الأَئِمَّةِ بإحْسَانٍ.

ويَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: (نُورٌ)؛ يُرِيدُ بِهِ فَهْمَ العِلْم، ومَعْرِفةَ مَعانِيهِ[1].

=

أَخْرجهُ أَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْيةِ الأَوْلِيَاءِ» (ج٦ ص٣١٩)، وأَبُو عَمْرٍو ابنُ مَنْدَه في «الفَوائد» (ص٩٤)، وابنُ وَهْبٍ في «العِلْمِ» (ج١ ص٧٥٨-جَامع العِلْم)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تَفْسيرِ القُرآن» (ج١٠ ص٣١٨٠)، والرَّامَهُرْمُزِيُّ في «الْمُحدِّث الفَاصل» (ص٧٥٥)، وابنُ عَدِيّ في «الكامل» (ج١ ص٣٨)، والخطيبُ في «الجامعِ لأَخْلاَقِ الرَّاوي» (ج٢ ص٢٥٣)، والجَوْهَرِيُّ في «مُسْند الْمُوطأ» (ص٨٨)، وابنُ عَبْدِ البَرِّ في «جَامعِ بَيانِ العِلْمِ» (ج١ ص٧٥٧)، والقَاضِي عِيَاض في «الإلماع» (ص٢١٧).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

وذَكَرَهُ القَاضِي عِيَاض في «تَرْتِيبِ الْمَدَارك» (ج١ ص٥٧)، والذَّهَبِيُّ في «السِّير» (ج٨ ص١٠٧)، والسُّيُوطِيُّ في «الدُّر الْمَنْثور» (ج٧ ص٢٠)، وابنُ كَثِيرٍ في «تَفْسيرِ القُرآن» (ج٦ ص٣٠٨).

(١) انظر: «تَفْسِير القُرآن» لابنِ كَثِيرٍ (ج٦ ص٣٠٨)، و«جَامعَ البَيَان» للطَّبَرِيِّ (ج٥ ص٥٧٨)، و«فَتْحِ القَدِير» للشَّوْكَانِيِّ (ج١ ص٢٨٩).

فَعَنْ أَبِي هَمَّامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ شَرِيكًا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] **قَالَ: (الْفَهْمَ)** (١).

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] **قَالَ: (الْكِتَابَ وَالْفَهْمَ فِيهِ)** (٢).

قلتُ: فحُسْنُ الفَهْمِ هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ.

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أَخْرجهُ الخطيبُ في «الجَامعِ لأخْلاَقِ الرَّاوي» (١٥٧٥).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ حسنٌ.**

أَخْرجهُ الطَّبريُّ في «جَامعِ البَيَان» (ج٥ ص٥٧٧).

وإسنادُهُ حسنٌ.

وذكرهُ السُّيوطِيُّ في «الدُّر الْمَنْثور» (ج٣ ص٢٨٨)، والشَّوْكَانِيُّ في «فَتْحِ القَدِير» (ج١ ص٢٨٩).

قَالَ الإمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «الدَّاءِ والدَّوَاءِ» (ص١٥٩): (وَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْمِ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، ﷺ. وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ). اهـ

وقَالَ الإمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الرِّسَالةِ» (ص١٩): (فإنَّ مَنْ أَدْرَكَ عِلْمَ أَحْكَامِ اللهِ في كِتَابِهِ نَصّاً واسْتِدْلالاً، ووفَّقَهُ اللهُ للقَوْلِ والعَمَلِ بِمَا عَلِمَ منهُ: فَازَ بالفَضِيلَةِ في دِينِهِ ودُنْيَاهُ، وانْتفَتْ عَنْهُ الرِّيَبُ، ونَوَّرتْ في قَلْبِهِ الحِكْمَةُ، واسْتَوْجَبَ في الدِّينِ مَوْضِعَ الإمَامَةِ). اهـ

قلتُ: وعَلَىٰ الْمُسْلِمِ تَجنّبُ سُوء الفَهْمِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ ضَلالَةٍ.

قَالَ الإمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «الرُّوحِ» (ص٦٣): (بَلْ سُوء الفَهْمِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، ورَسُولِهِ ﷺ أَصْلُ كلِّ بدْعَةٍ، وضَلالَةٍ نَشَأتْ في الإسْلامِ؛ **بَلْ هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَطَأ في الأُصُولِ والفُرُوعِ**، ولاسيَّما إنْ أُضيفَ إليهِ سُوء القَصْدِ، فَيتّفقُ سُوءُ الفَهْمِ في بَعْضِ الأَشْياءِ مِنَ الْمَتبُوعِ مَعَ حُسْنِ قَصْدِهِ، وسُوءِ القَصْدِ مِنَ التّابِعِ، فَيَا محْنَةَ الإسْلامِ وأَهْلِهِ). اهـ

وقَالَ الإمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «إعْلامِ المُوقعِينَ» (ج١ ص٨٧): (صِحَّةُ الفَهْمِ، وحُسْنُ القَصْد **مِنْ أَعْظم نِعَمِ اللهِ الّتي أَنْعَم بِهَا عَلَىٰ عَبْدِهِ**، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الإسْلامِ أَفضَلَ، ولاَ أَجَلّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا

الإسْلاَمِ، وقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وبهِمَا يَأْمَنُ العبدُ طَرِيقَ الْمَغْضُوبِ عَليهِمْ الّذينَ فَسَدَ قَصْدُهمْ، وطَرِيقِ الضَّالين الَّذينَ فَسَدَتْ فُهومُهمْ، ويصِيرُ مِنَ الْمُنْعَم عَلَيْهِمْ الَّذين حَسُنَتْ أَفْهامُهمْ وقُصُودُهمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّراطِ الْمُسْتقِيمِ الَّذينَ أُمِرنَا أَنْ نَسْأَلَ اللهَ أَنْ يَهْدينَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلاَةٍ، **وصِحَّةُ الفَهْمِ نُورٌ يَقْذفهُ اللهُ في قَلْبِ العَبْدِ**، يُميِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ والفَاسِدِ، والحقِّ والبَاطِلِ، والهُدَىٰ والضَّلاَل، والغَيِّ والرَّشادِ، ويُمدهُ حُسْنُ القَصْدِ، وتَحرِّي الحَقّ، وتَقْوَىٰ الرَّبّ في السِّرِّ والعَلاَنيةِ، ويَقطعُ مَادتَهُ اتِّباع الهَوَىٰ، وإيثَار الدُّنيا، وطَلبُ محمدة الخَلْقِ، وتَرْك التَّقْوىٰ).اهـ

قلتُ: فَمَنْ أَرَاد اللهُ بِهِ خَيْراً أَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ النُّور.

قلتُ: إنَّ الْمَرْءَ حَقّاً هُوَ الّذِي يَعْبدُ ربَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ عَلَىٰ بَصِيرةٍ وعِلْمٍ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨].

قالَ شَيْخُنا العَلاَّمَةُ محمد بنُ صَالحٍ العُثيمِينَ رَحِمَهُ اللهُ في «العِلْمِ» (ص١٩): (العِلْمُ نُورٌ يسْتضِيءُ بِهِ العَبْدُ؛ فيعرفُ كَيْفَ يَعْبدَ رَبَّهُ سُبْحَانهُ، وكيفَ يُعاملُ عِبَاده، فتكُونُ مَسيرتهُ في ذَلِكَ عَلَىٰ عِلْمٍ وبَصِيرةٍ). اهـ

قلتُ: فَهذهِ الرِّسالةُ في التَّحْذِيرِ مِنْ جَرِيمَةِ الجَهْلِ جَمَعْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الاخْتِصَارِ في زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ الجَهْلُ حَتَّىٰ أَصْبحَتْ هَذهِ الجَرِيمةُ مَأْلوفةٌ في كَثِيرٍ مِنَ البُلْدانِ الإِسْلاَمِيَّة ومَنْ أَنْكَرَهَا اسْتنكَرهُ الكَثيرُ، ورُمِيَ بالشُّذوذِ في الْمُجْتَمعِ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلْيِّ العَظِيمِ.

هَذَا وعَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ قَصْد السَّبيل هُوَ مَوْلاَنَا ونِعْمَ النَّصير.

كتبهُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحمنِ الأَثَرِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذِكْرُ الدَّلِيلِ
عَلَى رَفْعِ العِلْمِ عَنِ النَّاسِ، وقَبْضِهِ مِنْهُم،
وثُبُوتِ الجَهْلِ فِيهِمْ والرِّضى بهِ، والإعْراض عَنِ العِلْمِ
عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
فماذَا يُغْنِي عَنْهُمْ حينَ تَرَكُوا أَمرَ اللهِ تَعَالَى،
وأَمرَ رَسُولِهِ فِي هَذَا الزَّمَان[1]

١) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وسلم نَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَوْمًا، فَقَالَ ﷺ: «هَذَا أَوَانُ يُرْفَعُ الْعِلْمُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ بنُ لَبِيدٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، يُرْفَعُ الْعِلْمُ وَقَدْ أُثْبِتَ، وَوَعَتْهُ الْقُلُوبُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنْ كُنْتُ لأَحْسِبُكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ

---

(١) **قلتُ**: وهَذهِ التَّوراةُ كانَتْ في يَدِ اليَهُودِ، فماذَا تُغْنِي عنهُمْ، وهَذَا الإنْجيلُ كانَ في يَدِ النَّصارَىٰ، فماذَا يُغْنِي عنهُمْ، فَضلُّوا وأَضَلُّوا، بسَبب أَنَّهمُ تَركُوا أَمرَ اللهِ تَعَالَىٰ، والعياذُ باللهِ.

الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلالَةَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ: فَلَقِيتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ عَوْفٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، أَلا أُخْبِرُكَ بِأَوَّلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ؟ الْخُشُوعُ حَتَّىٰ لا تَرَىٰ خَاشِعًا». وَفِي رِوَايَةٍ: «وَذَكَرَ لَهُ ضَلالَةَ أَهْلِ الكِتَابِ، وَعِنْدَهُمْ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ».

حديثٌ صحيحٌ

أَخْرجهُ الطَّحَاوِيُّ في «مُشْكل الآثَار» (ج١ ص٢٧٧)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (ج٥ ص٣٢٩)، وفي «العِلْم» (ص١٩١)، وابنُ حِبَّانَ في «صَحيحِهِ» (ج١ ص٤٣٣)، و(ج١٥ ص١١٥)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننهِ» تَعْليقًا (٢٦٥٣)، وعبدُ الحَقّ الإشْبيليُّ في «الأحْكَام الشَّرعيَّة الكُبرىٰ» (ج١ ص٣٥٧)، والطَّبرانِيُّ في «الْمُعْجَمِ الكَبير» (ج١٨ ص٤٣)، وفي «مُسْند الشَّاميِّينَ» (ج١ ص٥٥)، وفي «الأوائل» (٨١)، والخطيبُ البَغْداديُّ في «اقْتِضاءِ العِلْمِ العَمَل» (٨٩)، والحاكمُ في «الْمُسْتدرك» (ج١ ص٩٨)، وأحمدُ في «الْمُسْند» (ج٦ ص٢٦)، والبُخَارِيُّ في «خَلْقِ أفعالِ العِبَاد» (ص٤٢)، وابنُ عَبْدِ البرِّ في «الاسْتيعابَ في مَعْرفةِ الأَصْحَاب» (ج٤ ص٣٨)، وفي «جَامعِ بَيانِ العِلْم» (ج١ ص١٥٢)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «حِلْية الأَوْلياء» (ج٥ ص١٣٨ و٢٤٧)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخلِ إلىٰ السُّنن

الكُبْرىٰ» (٨٥٣)، وابنُ أَبِي عَاصِمٍ في «الأَوَائل» (ص٩٤)، والبَزَّارُ في «الْمُسْند» (ج٧ ص١٧٥) مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجُرَشيّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثنِي عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ ﷺ به.

قلتُ: وهَذَا سَنَدُهُ صحيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسلم.

وقَالَ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «تَعْليقِهِ عَلَىٰ اقْتِضَاءِ العِلْمِ» (ص٥٨): إسنادهُ صحيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلم.

وقال الحاكمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَدِ احْتَجَّ الشَّيْخَانِ بِجَمِيعِ رُوَاتِهِ، وَالشَّاهِدُ لِذَلِكَ فِيهِ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ؛ فَقَدْ سَمِعَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ الْحَدِيثَ مِنْهُمَا جَمِيعًا، وَمِنْ ثَالِثٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُوَ أَبُو الدَّرْدَاءِ.

وذَكَرَهُ الْمِزِّيُّ في «تُحْفة الأشراف» (ج٨ ص٢١١)، وابنُ حَجَرٍ في «إتْحاف الْمَهَرة» (١٦٠٥٠).

والحَدِيثُ صَححّهُ الشَّيْخُ الألبانِيُّ في «صَحِيحِ مَوَارِدِ الظَّمان» (ج١ ص١٣٥)

قلتُ: وفي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ الفِقْهِ أنَّ الكُتُبَ الْمُدوَّنة مَهْمَا كَثُرتْ، وتَعدّدتْ، والأَدْمغةُ الحافِظَة مَهْمَا أَتْقنَتْ لا تُغْنِي شَيْئًا إذَا لَمْ يَكُنْ العِلْمَ

عندَ أَهْلِهِ الَّذينَ يُتقنونَهُ نَظَراً ويُطبّقونَهُ عَمَلاً، وسُلُوكـًا؛ فاليَهُودُ والنَّصارىٰ بأيْديهِمْ الكُتب، ولكنَّهُم أَبْعد النَّاس عَنْ تَعاليمِ اللهِ تَعَالَىٰ وهُداه!.

فَهذِهِ «التَّوراةُ» بأَيْدِي اليَهُودِ، وهَذَا «الإنْجِيلُ» بأيْدِي النَّصَارَىٰ مَا يَرْفعونَ بِهَما رَأْسـًا[1].

قَالَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «المَدْخَلِ» (ج٢ ص٣٠٣): (يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «**هَذَا أَوَانُ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَيُخْتَلَسُ الْعِلْمُ**»، تَقْرِيبَ الْوَقْتِ؛ كَمَا **قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** ﷺ: «**كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ**»؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ اخْتِلَاسَ الِانْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ، وَإِنْ كَانُوا لَهُ حَافِظِينَ كَمَا اخْتُلِسَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]). اهـ

٢) وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّىٰ لا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَىٰ شَيْءٍ»، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ

---

(١) أَوَلَمْ تَكُنْ التَّوراة، والإنْجيل في بَنِي إسْرائيلَ، فلمْ يُغنيَا عنهُمْ شَيْئـًا، إنَّ ذَهابَ العلمُ أنْ يذهبَ حَملتُهُ.

يُخْتَلَسُ مِنَّا، وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ، فَوَاللهِ لَنَقْرَأَنَّهُ، وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا؟ فَقَالَ ﷺ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، وَإِنْ كُنْتُ لأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ، وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فَمَاذَا يُغْنِي عَنْهُمْ»[1].

قَالَ جُبَيْرُ بنُ نُفَيْرٍ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ، قَالَ: فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ شِئْتَ لأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ، الْخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلا تَرَىٰ فِيهِ خَاشِعًا».

حديثٌ حسنٌ

أَخْرجَهُ الطَّحَاوِيُّ في «مُشْكَلِ الآثَار» (ج١ ص٢٧٩)، والبَغَوِيُّ في «مَصَابيح السُّنَّة» (ج١ ص١٧٨)، والطَّبَرَانِيُّ في «الأَوَائل» (٨١)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (٢٦٥٣)، والحاكمُ في «الْمُسْتَدرك» (ج١ ص٩٩)، والدَّارِمِيُّ في

---

(١) لقَدْ أصابَ أكثرُ الْمُسلمينَ مَا أصابَ اليَهُود والنَّصارىٰ مِنْ الجَهْلِ البَسِيطِ، والجَهْلِ الْمُركبِ؛ فأكثرُهُمْ لا يُحكّمونَ كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ، وسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ في الأُصُولِ والفُرُوعِ، فَحَكَّمُوا الجَهْل، وأعْرضُوا عَنِ العِلْمِ، واللهُ الْمُسْتَعان.

وانظر: «صَحِيحِ مُوارد الظَّمان» للشَّيْخ الألبانيِّ (ج١ ص١٣٥).

«الْمُسْند» (٢٩٤)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «مَعْرفةِ الصَّحابة» (ج٣ ص١٢٠٥)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل في السُّنن الكُبرىٰ» (٨٥٤) مِنْ طَرِيقِ عَبْد اللهِ بْنِ صَالِحٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ بِهِ.

قلتُ: وهذا سندهُ حسنٌ في الْمُتَابعاتِ فيهِ عبدُ اللهِ بن صَالحٍ: هُوَ كاتبُ اللَّيْث بنِ سَعْدٍ، وقَدْ تُوبع.

وقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وقالَ الحَاكمُ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ الْبَصْرِيِّينَ، وَفِيهِ شَاهِدٌ رَابِعٌ عَلَىٰ صِحَّةِ الْحَدِيثِ وَهُوَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ.

وَلَعَلَّ مُتَوَهِّمًا يَتَوَهَّمُ أَنَّ جُبَيْرَ بْنَ نُفَيْرٍ، رَوَاهُ مَرَّةً عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، وَمَرَّةً عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَيَصِيرُ بِهِ الْحَدِيثُ مَعْلُولاً، ولَيْسَ كذَلِكَ؛ فإنَّ رَوُاةَ الإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا ثِقَاتٌ، وجُبَيْرُ بنُ نُفَيْرٍ الحَضْرَمِيّ مِنْ أَكَابر تَابعِي الشَّام، فإذَا صَحَّ الحديثُ عنهُ بالإِسْنَادَيْنِ جَمِيعًا، فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ الصَّحَابِيَّيْنِ جَمِيعًا.

وَالدَّلِيلُ الْوَاضِحُ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ، قَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيِّ. اهـ

وذكَرَهُ ابنُ حَجَرٍ في «إتْحافِ الْمَهَرة» (١٦٠٨٤)، والْمِزِّيُّ في «تُحفة الأشرَاف» (ج٨ ص٢١١).

والحديثُ حَسَّنهُ البَغَوِيُّ في «مَصَابيح السُّنّة» (ج١ ص١٧٨).

٣) وعَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا، وَذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ابْنَ أُمِّ لَبِيدٍ، إِنْ كُنْتُ أَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالإِنْجِيلَ لا يَفْقَهُونَ مِمَّا فِيهِمَا شَيْئًا». وَفِي رِوَايَةٍ: «أَوَلَيْسَ اليَهُودُ والنَّصَارَىٰ فِيهِمْ كِتَابُ اللهِ، التَّوراةُ والإنْجِيلُ، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بشَيْءٍ!»، وفي رواية: «أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا».

حديثٌ حسنٌ

أَخْرجهُ الطَّحَاوِيُّ في «مُشْكل الآثار» (ج١ ص٢٨٠)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في «الْمُصنَّف» (ج١٠ ص٥٣٦)، وأحمدُ في «الْمُسْند» (ج٤ ص٢١٨)، وأَبُو القَاسم البَغَوِيُّ في «مُعْجم الصَّحابة» (ج٢ ص٤٩٧)، وابنُ أَبِي عَاصِمٍ في «الآحاد والْمَثاني» (ج٤ ص٥٤)، وابنُ الأثِيرِ في «أُسْد الغابة» (ج٢

ص٣١٧)، وابنُ الجَوْزِيِّ في «جامع الْمَسانيدِ» (ج٢ ص٤٧٢)، والْمِزِّيُّ في «تَهْذيب الكمال» (ج٩ ص٥٠٨)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «مَعْرفة الصَّحابة» (ج٣ ص١٢٠٥)، وابنُ قَانع في «مُعْجم الصَّحابة» (٤٧٧)، والطَّبرانِيُّ في «الْمُعْجم الكبير» (ج٥ ص٣٠٥)، والبُخَارِيُّ في «التَّارِيخ الأوْسط» تعليقاً (ج١ ص١٢٠)، وفي «التَّاريخ الكبير» (ج٣ ص٣٤٤)، وابنُ مَاجه في «سُننِهِ» (٤٠٤٨)، وأَبُو خَيْثمةَ في «العِلْمِ» (٥٢)، والحَاكمُ في «الْمُسْتدرك» (ج١ ص١٠٠)، والطَّيالسيُّ في «الْمُسْند» (١٢٩٢) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ بِهِ.

قلتُ: وهَذَا سندهُ رجالهُ ثقاتٌ، وهوَ حسنٌ في الْمُتَابعات، والحديث صَحّحهُ ابنُ كَثِيرٍ في «تَفْسيرِ القُرآن» (ج٢ ص٧٩)، والشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ في «صَحِيحِ سُننِ ابنِ مَاجَه» (ج٤ ص٣٧٧).

وذكرهُ ابنُ حَجَرٍ في «إتْحَاف الْمَهَرة» (٤٦٦٨)، والسُّيوطيُّ في «الدُّر المنثور» (ج٥ ص٣٨١).

وأَخْرجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تَفْسِير القُرآن» (ج٤ ص١١٧٠) مِنْ طَرِيقِ جُبَيْرِ بن نُفَيْرٍ؛ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ... فذكرَهُ).**

هَكَذا أَوْرَدَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ مُرْسَلاً فِي أَوَّلِهِ.

وذكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِير القُرآن» (ج٢ ص٧٩)، والسُّيوطيُّ فِي «الدُّر المنثور» (ج٥ ص٣٨٠).

فَقولهُ ﷺ: «**هَذَا أَوَانُ يُرْفَعُ فِيهِ العِلْمُ**»؛ إنَّما هُوَ إشَارَةٌ منهُ ﷺ إلىٰ وَقْتٍ يُرْفَعُ فيهِ العلمُ، وهَذَا الوقتُ يكونُ بَعْدَهُ ﷺ؛ لأنَّ: «**هَذَا**»؛ إنَّما هوَ كَلمةٌ يُشارُ بِهَا إِلَىٰ الأشْيَاءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٣]، وقولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[ق: ٣٢]، فيكونُ الزَّمَانُ الَّذي يُرفعُ فيهِ العلمُ، أَوْ يقلُّ العلمُ بسببِ الإعْراضِ عَنْهُ من قِبَلِ أَكْثرِ النَّاسِ لِقِلَّةِ أَتَّباع النَّبِيِّ ﷺ؛ فيُحْرمُ النَّاسَ العِلْم مِنَ الّذين أَعْرضُوا عَن أَتِّباعهِ ﷺ قَوْلاً فِعْلاً[1].

قالَ الحافِظُ الطَّحَاوِيُّ رحمهُ اللهُ فِي «مُشْكِل الآثار» (ج١ ص٢٨١):

(وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا مِنْ هَذَا احْتِجَاجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِضَلَالَةِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَعِنْدَ الْيَهُودِ مِنْهُمْ: «**التَّوْرَاةُ**»، وَعِنْدَ النَّصَارَىٰ

(١) وانظر: «مُشْكَل الآثار» للطَّحَاوِيِّ (ج١ ص٢٨٠ و٢٨١).

مِنْهُمُ: «**الإِنْجِيلُ**»، وَلَمْ يَمْنَعَاهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَهَابِ أَنْبِيَائِهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ لَا فِي أَيَّامِهِم.

فَكَذَلِكَ مَا تَوَاعَدَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ أُمَّتَهُ فِي حَدِيثِ عَوْفٍ هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ أَيَّامِهِ وَبَعْدَ ذَهَابِ مَنْ تَبِعَهُ ﷺ، وَخَلَفَهُ بِالرُّشْدِ، وَالْهِدَايَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ سَائِرِ أُمَّتِهِ سِوَاهُم). اهـ

قلتُ: وعَلاَمَاتُ زَمَانِ رَفعِ العِلْمِ، أَوْ قلَّةِ العِلْمِ في النَّاسِ، هُوَ الزّمَان الّذي لا خُشُوعَ فيهِ مَعَ النَّاسِ في صَلاَتِهِمْ في الْمَسَاجد، وبُيُوتهم[1]، وإِذَا لم يَكُنْ معهُمْ الخُشُوع، كَانَتْ معهُمْ القَسْوةُ، والاسْتِكبَار، والعُجْبُ[2]، نَعوذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

---

(١) كَمَا في هَذَا الزَّمَانِ تَمَامًا، اللَّهُمَّ غُفْراً.

(٢) كَمَا حَصَلَ لليَهُودِ والنَّصارَىٰ.

(٣) وانظر: «مُشْكل الآثار» للطَّحاوِيِّ (ج١ ص٢٨٣).

وإلَيْكَ الدَّلِيل:

١) فَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (١).

٢) وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّىٰ يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ» (٢).

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٣٣)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص٢٠٨)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُنَنه» (ج٥ ص٣١)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكبرىٰ» (ج٣ ص٤٥٦)، وفي «العِلْم» (ص١٨٨)، والبَغَوي في «مَصَابيح السُّنة» (ج١ ص١٦٩)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٨٥٠)، وابنُ مَاجَة في «سُننه» (ج١ ص٢٠).

(٢) أخرجه البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٢١٣)، وفي «خَلْقِ أَفْعال العِبَادِ» (٣٥٦)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص٢٠٥٦)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (ج٤ ص٤٩١)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكُبْرىٰ» (ج٣ ص٤٥٥)، وفي «العِلَمِ» (ص١٨٦)، وابنُ مَاجَه في «سُننِهِ» (ج٢ ص١٣٤٣)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٨٤٦).

٣) وعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ»(١).

٤) وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «يَنْقصُ العِلْمُ»(٢).

قلتُ: وفي هَذهِ الأَحَادِيث في رَفْعِ العِلْمِ مِنَ النَّاس بسَببِ ذُنُوبِهِمْ، وإعْراضِهِمْ عَنِ العِلْمِ، والرُّكون إلىٰ الجَهْل، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج١٣ ص١٦)، وفي «خَلْقِ أَفْعالِ العِبَادِ» (٣٥٤)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص٢٠٥٦)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (ج٤ ص٤٨٩)، وابنُ مَاجَه في «سُننِهِ» (ج٢ ص١٣٤٥)، وعَبْدُ الحَقّ الإشْبيليُّ في «الأحْكَام الشَّرعية الكُبرىٰ» (ج١ ص٣٥٧)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٨٤٥).

(٢) أخرجه البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٤٧١)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٤ ص٢٠٥٧)، وأَبُو دَاودَ في «سُننِهِ» (ج٥ ص١٥)، وعَبْدُ الحَقّ الإشْبيليُّ في «الأحْكَام الشَّرعية الكُبرىٰ» (ج١ ص٣٥٧)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٨٤٧).

فَقَوْلهُ ﷺ: «**أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ**»؛ أَيْ: يقل شَيْئًا فَشيئًا إلىٰ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ العَدَمِ لانْشِغالِ النَّاسِ بالدُّنيا وزِينَتِهَا، وقدْ جَاءَ عِنْدَ البُخَارِيِّ في «صَحِيحِهِ» (ج١ ص٣١٥): (**أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ**).

وقَوْلهُ ﷺ في رِوَايةٍ: «**ويَثْبُتَ الجَهْلُ**»؛ أَيْ: لَمْ يعدْ يُستحْيَا منهُ لثَباتِهِ في النَّاسِ وشُيُوعِهِ؛ أَيْ: هُوَ الظُّهورُ والفُشوُّ.

وهَذَا واقعٌ، واللهِ في زَمانِنَا، فإنَّك تَرَىٰ الرَّجلَ الطَّويلَ العَريضَ ذَا الهَيْئةِ، والْمَنْصبِ، والْمَالِ، والدُّنيا العَريضة، لا يُحْسِنُ الوُضوءَ، ولاَ الصَّلاَة، ولا يدركُ مَعْنىٰ شَهادةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ محمداً رَسُول الله، فَهِلْ هُناكَ جَهْلٌ أعْظمُ مِنَ الجَهْلِ باللهِ تَعَالَىٰ وفَرَائضهِ، اللَّهُمَّ غُفْراً[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

وبَوَّبَ الحَافِظُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صَحِيحِهِ» (ج١ ص١٧٨)؛ بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَظُهُورِ الجَهْلِ.

---

(١) وانظر: «فَتْح الباري» لابنِ حَجَرٍ (ج١ ص١٧٨)، و«إرْشاد السّاري» للقَسْطلانِيِّ (ج١ ص٣١٤ و٣١٥).

وقَالَ الحَافِظُ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «المَدْخل» (ج٢ ص٢٩٤)؛ بابُ: مَا يُخْشَ مِنْ رَفْعِ العِلْمِ وظُهُورِ الجَهْلِ.

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ مَاجه رَحِمَهُ اللهُ في «السُّنن» (ج٢ ص١٣٤٥)؛ بابُ: ذَهَابِ القُرْآن والعِلْم.

وقَالَ الحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «المِنْهَاج» (ج٣ ص٢٠٨)؛ بابُ: رَفْعِ العِلْمِ وقَبْضِهِ وظُهورِ الجَهْلِ.

قلتُ: فَإِذَا تَنَاقصَ العُلماءُ[1]، ونَدرُوا، أَو انْقَرضُوا سَوَّدَ النَّاسُ جُهَّالاً لَهُم؛ إِذْ لابُدَّ للنَّاسِ مِنْ سَادَة، فاتَّجهُوا لهؤلاءِ بالسُّؤالِ، والفَتْوَىٰ، والحُكْمِ، فلَمْ يَعْرفُوا أَحْكام اللهِ تَعَالَىٰ، فحكَّمُوا أَهْواءَهُم، وشَهَواتَهُم، فَضَلُّوا وأَضلُّوا، نَعوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ[2].

---

(١) **قلتُ**: أَوْ ابعادُهُم عَنِ الْمَنَاصبِ الدِّينيَّة!، ذَلِكَ بسَببِ غَلَبَةِ الجَهْلِ في النَّاس فيقدّمُ للمَنَاصبِ أَهْلِ الجَهْلِ عَلَىٰ أَهْلِ العِلْمِ، وإليهِ الإشَارَةِ بقَوْلِهِ ﷺ: «**اتَّخَذَ النَّاسَ رُؤوساً جُهالاً**»، فيزداد حِينئِذٍ غلبةِ الجَهْلِ، وتَرْئيسِ أَهْلِهِ!، اللَّهُمَّ غُفْراً.

وانظر: «فَتْح البَاري» لابنِ حَجَرٍ (ج١٣ ص٢٨٦ و٢٨٧).

(٢) وانظر: «الجَامَع لأحْكَام القُرآن» للقُرْطِبِيِّ (ج١ ص٢٨٦)، و«الْمُنْتقىٰ» للشَّيْخ الفَوْزان (ج١ ص٢٢٠)، و«فَتْح الباري» لابنِ حَجَرٍ (ج١ ص٣١٦).

قلتُ: فَيَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْ تَرْئِيسِ الجَهلةِ؛ لأَنَّهُمْ قَادة الضَّلالَة، والعياذُ باللهِ[1].

قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ البَارِي» (ج١ ص١٦٥): (الْحَثُّ عَلَىٰ حِفْظِ الْعِلْمِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ تَرْئِيسِ الْجَهَلَةِ ... وَذَمُّ مَنْ يُقْدِمُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ). اهـ

وقَالَ الإِمَامُ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «العُزْلَةِ» (ص٩٦): (قَدْ أَعْلَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ آفَةَ الْعِلْمِ ذَهَابُ أَهْلِهِ، وَانْتِحَالُ الْجُهَّالِ، وَتَرَؤُسُهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ بِاسْمِهِ، وَحَذَّرَ النَّاسَ أَنْ يَقْتَدُوا بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ ضُلَّالٌ مُضِلُّونَ). اهـ

قلتُ: والشَّاهدُ: أَنَّ «القُرآنَ» هُوَ كَلامُ اللهِ تَعَالَىٰ، وأَنَّ الانْتفَاعَ مِنْهُ لا يَكُونُ بمُجَرَّدِ قِرَاءتِهِ، وكِتَابتِهِ فحَسْب.

فَهَذَا كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ «التَّورَاة» بَيْنَ يَدي اليَهُودِ، و«الإِنْجِيل» بَيْنَ يَدي النَّصارىٰ، وقَدْ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبيلِ.

---

(١) فبسَببِ غَلبةِ الجَهْلِ في النَّاس، فيرأسُونَ عليهِمْ مَنْ يُنسبُ إلىٰ الجَهْلِ، واللهُ الْمُسْتعانُ.

وهَذَا القُرآنُ العظِيمُ بَيْنَ أَيْدي الْمُسلمِينَ، ولَمْ يَنتفِعْ مِنْهُ إلاَّ القَليلُ منهُمْ.

قلتُ: وفي آخرِ الزَّمانِ لا يَبْقَىٰ منهُ إلا رَسْمُهُ، ويرفعُ العَملُ بهِ، فدلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ التَّفريق بَيْنَ القِرَاءةِ والْمَقْرُوءِ، فالْمَقْرُوء هُوَ كلامُ اللهِ تَعَالَىٰ لا يختلفُ، ولَكِنْ فِعْلِ العَبْدِ الّذي هُوَ قِرَاءتُهُ إنْ اتّبعها بالعَمَلِ، والتَّدبرِ، والإيمانِ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ انْتفعَ، واهْتَدَىٰ، وإلاَّ فَلاَ.

قَالَ الحَافِظُ البَغَوِيّ رَحِمَهُ الله في «شَرْحِ السُّنة» (ج١ ص٣): (وَغَلَبَ عَلَىٰ أَهْلِ الزَّمَان هَوَىٰ النُّفُوس، **فَلم يُبْقِ مِنَ الدِّين إِلَّا الرَّسْم، وَلَا من الْعلم إِلَّا الِاسْم، حَتَّىٰ تَصوَّر الْبَاطِلُ عِنْد أَكثر أهل الزَّمَان بِصُورَة الْحقِّ**[1]، **وَالْجهل بِصُورَة الْعلم**، وَظهر فيهم تَحقِيقُ **قَولِ الرَّسُولِ** ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبضُ الْعِلمَ بِقَبضِ الْعلمَاءِ،**

---

(١) **قلتُ**: كأنه رحمهُ اللهُ يصفُ لنَا حال «الجَمَاعات الحِزبيَّة» وأَشْكالها في زَمانِنَا هذا الَّذي ظَهَر فيهِ الجهلُ، وقلَّ فيه العلمُ، واتخذ النَّاسُ رُؤوساً جُهالاً فضلُّوا وأَضلوا، والعياذُ باللهِ.

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ علم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1].اهـ

قُلتُ: والحَافِظُ البَغَويّ رَحِمَهُ الله يَحْكي ذَلِكَ فِي زَمَانِه، فَكيفَ لَو اطَّلَعَ عَلَىٰ أَفْكَارِ الجَمَاعَات الحِزْبية في هَذَا الزَّمانِ لَطَارَ لُبُّهُ!.

قُلتُ: مَا أَسَرَعَ النَّاس إلىٰ البِدَع الْمُضلَّة[2].

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: (عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ أَهْلُهُ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَىٰ يُفْتَقَرُ، أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ، وسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ).

أثرٌ صحيحٌ

---

(١) أخرجه البُخَارِيُّ في «صحيحه» (ج١ ص١٧٣)، ومُسْلِمٌ في «صحيحه» (٢٦٧٣) من حديثِ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو رضيَ اللهُ عنهما.

(٢) وانظر: «ميزان الاعتدال» للذَّهَبِيِّ (ج١ ص٤٣١).

أَخْرجهُ الدَّارِمِيُّ في «الْمُسْند» (ج١ ص٢٥١)، وابنُ حِبَّانَ في «رَوْضة العُقَلاء» (ص٣٧)، وابنُ نَصْرٍ في «السُّنَّةِ» (٨٦)، وعبدُ الرَّزاق في «الْمُصنَّف» (ج١١ ص٢٥٢)، والبَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٣٨٧)، والطَّبَرَانِيُّ في «الْمُعْجَم الكَبِير» (٨٨٤٥)، وابنُ وَضَّاحٍ في «البِدَعِ» (٦٠)، وابنُ بَطَّةَ في «الإبانةِ الكُبْرىٰ» (١٦٩)، والخَطِيبُ في «الفَقِيه والْمُتفقّه» (ج١ ص١٦٧)، واللَّالكَائِيُّ في «الاعْتِقَاد» (١٠٨)، وابنُ عَبْدِ البرِّ في «جَامَع بَيَان العِلْم» (ج١ ص٥٩٢)، وأَبُو القَاسمِ في «الحُجَّةِ» (ج١ ص٣٠٣)، وأَبُو الفَتْحِ في «الحُجّة» (ج٢ ص٤٩٢) مِنْ طُرُقٍ عَنْ أَبِي قِلابَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُود ﷺ بِهِ.

قلتُ: وهَذَا سَندهُ رجالُهُ ثقاتٌ إلاَّ أنَّ إسنادَهُ مُنْقَطعٌ؛ فإنَّ أَبَا قِلابَةَ لَمْ يَسْمَعَ مِنْ ابنِ مَسْعُود.

انظر: «مَجْمَع الزَّوائد» للهَيْثَمِيّ (ج١ ص١٢٦).

وقالَ البَيْهَقِيُّ في «المَدْخل» (ص٢٧٢): هَذَا مُرْسلٌ.

وتابعهُ أَبُو إدْريس الخَوْلاَنِيِّ عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُود ﷺ بِهِ.

أَخْرجَهُ البَيْهَقِيُّ في «الْمَدْخل إلىٰ السُّنن الكُبرىٰ» (٣٨٨)، وأَبُو الفَتْح في «الحُجَّةِ» (ج٢ ص٤٩٢).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

وقَالَ البَيْهَقِيُّ في «المَدْخل» (ص٢٧٢): ورُوِيَ مَوْصُولاً مِنْ طَرِيق الشَّامِيِّن.

والتَّنطُّعُ في الكَلاَمِ: التَّعمُّقُ، والْمَقْصُودُ بِهِ: الْمُغَالاةُ في الأُمُورِ زِيادةً عَلَىٰ الوَجْهِ الْمَشْرُوع[1].

والعَتِيقُ: القَديمُ، والمقصودُ منهُ: مُلاَزمةُ طَريقةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وطَريقةِ أَصْحابِهِ رضي الله عنهم.

والتَّبدُّع: مَعناهُ اخْتراع عِبَادة لَم يَشْرعْهَا رَسُولُ الله ﷺ[2].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «النُّونية» (ص١٩٠):

وتَعَـرَّ مِـن ثَوْبَيْـنِ مَـنْ يَلْبسُهُـمَا ... يَلْـقَ الـرَّدَىٰ بِمَذَمَّـةٍ وهَـوَانِ

ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ ... ثَوْبُ التَّعَصُّبِ بِئْسَتِ الثَّوْبَانِ

وقَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «النُّونية» (ص٣٠٤):

وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وشِفَـاؤُهُ ... أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفِقَـانِ

---

(١) انظر: «لسَان العَرب» لابنِ مَنْظُور (ج٨ ص٣٥٧).

(٢) وانظر: «جَامع العُلوم والحِكَم» لابنِ رَجَبٍ (ص٥٢).

نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِن سُنَّةٍ وَطَبِيبُ ذَاكَ الْعَالِمُ الرَّبَانِي

هَذا آخرُ ما وفَّقني اللهُ سُبْحانهُ وتَعَالىٰ إليهِ في تَصْنيفِ هَذَا الكِتَابِ النَّافعِ المُبارك -إنْ شاءَ اللهُ- سَائلاً ربِّي جلَّ وعَلا أنْ يكتُبَ لي بهِ أَجْراً، ويحطَّ عَنِّي فيهِ وِزراً، وأنْ يجعلَهُ لي عندَهُ يومَ القيامةِ ذُخراً...

وصَلّىٰ اللهُ وسَلّم وبَارِكَ عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ،

وعَـلَىٰ آلـهِ، وصَحْبـهِ أجمعِيـنَ،

وآخرُ دَعْوانا أنِ الحَمْدُ اللهِ

رَبِّ العالمِينَ

الفهرسة

الرقم	الموضوع	الصفحة
١)	المُقدِّمة.....	٥
٢)	وُجُوبُ طَلَبِ العِلْمِ عَلَىٰ الجَادَّةِ.....	٦
٣)	وُجُوبُ رَفعِ الجَهْل.....	٦
٤)	لا يَسْتَوِي العَالِمُ، ولا الجَاهِل في الدِّين.....	٦
٥)	العِلمُ نورٌ.....	٧
٦)	حُسْنُ الفَهْمِ هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ.....	٩
٧)	سُوءُ الفَهْمِ هُوَ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ.....	١٠
٨)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ رَفْعِ العِلْمِ عَنِ النَّاسِ.....	١٣
٩)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ضَلاَلَةِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِم مِنَ التَّوْرَاةِ، وَالإِنْجِيلِ.....	١٣-١٦ ١٧-١٩
١٠)	ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ضَلاَلَةِ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ مَا فِي أَيْدِيهِم مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ.....	١٣-١٦ ١٧-١٩
١١)	عَلاَمَاتُ قِلَّةِ العِلْمِ فِي النَّاسِ هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي لاَ خُشُوعَ فِي صَلاَتِهِم.....	٢٢

الرقم	الموضوع	الصفحة
١٢)	التَّحْذِيرُ مِنْ رُؤُوسِ الجَهْلِ.....	٢٣
١٣)	مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ.	٢٣
١٤)	عَلَيْكُم بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ.....	٢٩

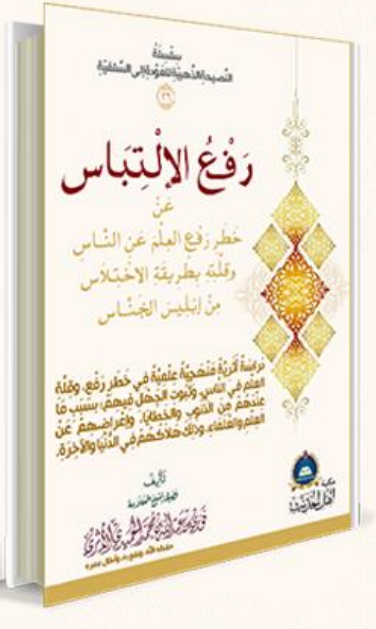

مكتبة
أهل الحديث